# نقد استجابة القارئ
# الخلفية المعرفية وإشكالية المصطلح

**Critique of reader response: Epistemological background and Term problematic**

**د. سعاد أوقاسي 1،***

1جامعة المدية (الجزائر) oukacisouadmedea@gmail.com

**تاريخ الإيداع**: 2023/01/01 **تاريخ المراجعة**:2023/04/25 **تاريخ النشر**: 2023/01/30

**الملخص:**

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بأهم التّيارات التي عرفتها الساحة النقدية المعاصرة، وهو التّيار المعروف ب "نقد استجابة القارئ"، والمنسوب نشأة للمدرسة النقدية الأمريكية؛إذ يرى هذا النقد أنّ القارئ من مرتكزات العمل الأدبي، لذلك يوليه الأهمية بعد الرّؤى النقدية التي أغفلته سابقا وأبعدته من ركني الإبداع (مؤلف، نص)، لتتحول الثنائية بذلك إلى ثلاثية (مؤلف، نص، قارئ). ولمّا كانت تلك الأسس النقدية (نقد استجابة القارئ) يعتريها بعض الغموض، ولمّا كانت معرفة خلفياتها الفكرية معين على فهمها، وكانت دقة مصطلحاتها سبيل لتحديد أطرها النظرية ومعالمها التطبيقية، جاءت هذه الدراسة بمنهج وصفي وتاريخي في تتبع نشأتها، ثمّ بمنهج تحليلي في معرفة مبادئها النقدية على النص. وقد توصلت الدراسة إثر ذلك،إلى أنّ هذا التيار الجديد نسخ التّركيز التقليدي على عملية إنتاج النصوص ودراستها في ذاتها، إلى رؤية شمولية ترى في استجابة وردود أفعال القارئ معايير نقدية لا يمكن إغفالها.

**الكلمات المفتاحية:** نقد، قارئ، نقد استجابة القارئ، مصطلح.

***Abstract:***

*This paper focuses onone of the most important modern critical tendencies, which is the "Reader's Response Criticism" attributed to the American School of Criticism. This criticism tendency believes that the reader is one of the elements of the literary work. It reconsiders this element, which was neglectedfrom other critical insightsbefore (considering only author, text).Therefore, the duality turns into a trilogy (author, text, reader). Owing to the ambiguity surrounding these critical basics and termsand since knowing their intellectual backgrounds can help to understand them, the aim of the study was to tracetheir originthrough a descriptive and historical approach,andknow their foundations and term problemsthrough a critical analytical approach. I concluded that the theory had copied the traditional focus on the process of producing texts and studying them in themselves into a comprehensive vision after considering the responses and reactions of the reader as a criterion in the critical foundation, especially after relying on psychology in interpreting the responses.*

***Keywords:*** *criticism, reader, reader response criticism, term.*

*المؤلف المراسل.

**تقديم:**

لم يأخذ القارئ باعتباره من المكونات الأساسية لعملية الإبداع الأدبي مكانته في مناهج ومدارس النقد التقليدية، ولم ينل حظوته في نظرية الأدب كفاعل مشارك إلا في نقد ما بعد الحداثة؛ فلطالما حاولت النظرية النقدية على مرّ العصور تركيز الاهتمام على عناصر العملية الفنية الخاصّة بالإنتاج الأدبي (المؤلف - النص)، ولكنّ القارئ كمعيار من معايير الذوق والتلقي لصالح النص أو لصالح المؤلف ظلّ مهملا من تلك الحلقة، ولم يكن ينظر إليه كفاعل في الإبداع؛ بل مجرد مستهلك لا أكثر. إلاأنّ ظهور اتجاهات ما بعد البنيوية عزّز من دوره وقيمته، وهذا ما مهّد لظهور نظريات التلقي التي قلّبت موازين النقد لصالحه، واعتبرته مبدعا جديدا للنص. وفي سياق هذا الاهتمام بالمتلقي، ظهرت نظريات وتيارات ومدارس حاولت معالجة القضايا المتعلقة بالقارئ والقراءة والتلقي، ومن بينها المدرسة الأمريكية المعروفة بمبدأ "نقد استجابة القارئ"، والتي أولى روادها اهتماما كبيرا بالقارئ، وبدوره في إتمام معنى النص الذي تركه المؤلف.

في هذا الإطار البحثي، يشتغل موضوعنا على مفهوم نظرية "نقد استجابة القارئ" تبعا لحداثة المبادئ التي جاءت بها في إتمام حلقة النقد، ونظرا لمنطقية الطرح النقدي الذي تحمله؛ حيث يكون للنصّ فيها حيزا من التجدّد وإعادة الإنتاج. وعلى هذا الأساس، يحقّ لنا التساؤل: ما مفهوم "نقد استجابة القارئ"؟ وما الأسس النقدية التي يدعو إليها التيار من خلال رواده؟ وما الخلفيات الفكرية والإبستمولوجية التي انطلق منها هذا التيار؟ وأخيرا وتبعا لقيمةالمصطلح في تحديد مفاهيم النظرية، نضيف تساؤلا لا يقلّ أهمية عن التّساؤلات السابقة، ما البعد التوجيهي الذي يضيفه لنا مصطلح "استجابة القارئ" في شرح مفهوم النظرية؟ وما المقابلات الترجمية الدقيقة له؟

وللإجابة عن الإشكاليات السّابقة، وتحقيق أهداف البحث، نسلك منهجا وصفيا في تقديم بعض الأسس والمنطلقات لهذه الرّؤية النقدية، ثمّ نعمد تحليلا إلى معرفة مكانة القارئ من ثلاثية العمل الأدبي (المؤلف، النص، القارئ)، ثم نتتبّع جذور وخلفيات هذه النظرية، وكذلك الحديث عن إشكالية المصطلح والتعبير عن هذا المفهوم النقدي الجديد بحمولته المعرفية والفلسفية.

**أولا-نقد استجابة القارئ: المفهوم وإشكالية مصطلح:**

**1- مفهوم نقد استجابة القارئ:**

وهو تيار من التيارات النّقدية التي عرفتها النظرية الأدبية الحديثة، يجعل من القارئ ركيزة ومحورا رئيسيا في القراءة النقدية للخطابات والنصوص. وهذا التيار الجديد «نقد استجابة القارئ لا يدّل على نظرية نقدية موحدة تصوريا، وإنّما هو مصطلح ارتبط بأعمال النقاد الأمريكيين الذين يستخدمون كلمات من قبيل القارئ "Reader" والقراءة "Reading" والاستجابة "Response."ليميّزوا حقلا من حقول المعرفة»[1]. وبذلك فالمسألة لا تتعلّق بنظرية واحدة، وإنّما تتعلق بعدّة اتجاهات تختلف منطلقاتها النظرية، لكن تلتقي في تمجيد القراءة وتمكين القارئ، فالناقدة "جين تومبكنز" في كتابها "نقد استجابة القارئ –من الشكلانية إلى البينوية" لم تقتصر في اختياراتها التي رأت أنّها ممثلة لهذا النقد أثناء إعداد كتابها على اتجاه نقدي بعينه، وإنّما جمعت عددا من المقالات التي تشترك في تركيزها على القراءة والقارئ، وهي تمثّل تشكيلة من الاتجاهات النّظرية (النّقد

الجديد والبينوية والظاهراتية والتّحليل النّفسي والتّفكيك)؛ إذ تقدّم هذه الاتجاهات تعريفات للقارئ وللتأويل والنص[2].

ويعدّ القارئ محورا رئيسيا في المفاهيم النظرية والإجرائية لاتجاهات نقد استجابة القارئ؛ حيث برز دوره كعنصر فعّال في تناول النص وفي وظيفتي التحليل والتأويل؛ فالمعنى يتشكّل ويستقر في ذهن القارئ، وهو لا يوجد مستقلا عنه ولا معزولا؛ لأن القارئ وحده من يحدّد ذات المعنى، لذلك أولت النظرية اهتماما كبيرا به.

وبهذا كان نقد استجابة القارئ مفهوما عاما يشير إلى تلك الأنواع من النقد الحديث والنظرية الأدبية التي ظهرت عند النقاد الأمريكيين منذ ستينات القرن العشرين، وتقوم على استجابات القراء للأعمال الأدبية بدلا من التّركيز على الأعمال نفسها، وهذا عكس تيارات النقد القديم التي كانت تنزع إلى إهمال دور القارئ أو التقليل من شأنه[3].

أمّا نظرّية الاستقبال والتلقي، فتعبّر عن تماسك ووعي جماعي، وقد جاءت كردة فعل للتطورات الاجتماعية والأدبية خلال السّتينات، والعديد من المتبنين لهذه النظرية من جامعة كونستانس الألمانية. فما يعرف اليوم بالتلقي أو نقد استجابة القارئ، لا يدلّ على نظرية موحّدة، فالمفهوم يستلزم تيارين من التفكير يمكن التّمييز بينهما بوضوح، والتلقي وجد أرضية خصبة في ألمانيا مع جهود "ياوس وإيزر". أمّا -نقد استجابة القارئ-، فهو مصطلح متداول في المعاجم الأنجلو أمريكية، وظهر تأثيره في الثقافة الأنجلو أمريكية المعاصرة؛ فهو مرتبط بالدرجة الأولى بالنقد الأمريكي[4].

وللإحاطة بجوانب النظرية، يمكن التفصيل إلى أنّ الاهتمام بالقارئ جاء كردّة فعل لإهمال السياق الخارجي، وتركيز الاهتمام على النص ذاته، فجاء هذا النوع من النقد ليقلّب المقولة تماما، ويركز على سياقات النصّ المتعدّدة التي تفضي إلى إنتاجه، ومن هنا كان استقبال النص يتيح الاهتمام بالقارئ، وبعملية إنتاج القراءة، وتحديد معنى النص[5].

ونقد استجابة القارئ ينظر للنص باعتباره سيرورة تهتم فوق كل شيء بحدث تجميع المعنى؛ لذلك يحاول الجمع بين أسئلة ثلاث أهمها: كيف يتم استيعاب النصوص؟ ماالبنيات التي توجه القارئ في معالجة النص؟ ما وظيفة النص الأدبي في سياقه؟[6]

فمقاربة استجابة القارئ تركز على الوظيفة التي تنجزها النصوص ضمن سياقاتها الاجتماعية والثقافية، وعلى تواصل التجربة التي تحدثها، وبذلك أعاد نقد استجابة القارئ للمتلقي حرية الاستفادة من المشاعر والانفعالات والتأويلات.

**2- مصطلح نقد استجابة القارئ:**

جاء مصطلح نقد استجابة القارئ مع المصطلحات التي رأيناها من تلقي وقراءة وغيرها، فالنقّاد الجدد لم يدرسوه مستقلا؛ بل ربطوه في أغلب المرّات بالتلقي.أشار حسن البنّا عز الدين في كتابه "قراءة الآخر/قراءة الأنا"بوضوح إلى أنّ "مصطلح التلقّي استخدم في بعض الأحيان ليشير إلى نقد استجابة القارئ في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنّه مرتبط أكثر على وجه الخصوص بجمالية التلقي الألمانية"[7]. وجل الدّارسين والناقدين أشاروا إلى وجود تداخل وتقارب بين المدرستين.

وأهم تقارب أنّ كلّ من النظرتين تركز على القارئ وأهميته في الفهم، وعلى دوره الفعّال كأداة واعية لها نصيب من النص وإنتاجه وتداوله؛ فالنظرية الأدبية حاولت على مرّ العصور أن تركز اهتمامها على عناصر العملية الفنية، العمل الأدبي وما يحاكيه أو على مؤلفه أو قارئه[8].

وكذلك المصطلحات التي شملتها النظريتين، وإن اختلفت في المسمى، لكنها تدل على نفس المفهوم؛ فالقارئ الصوري والمثالي في نقد استجابة القارئ، نفسه القارئ الضمني في نظرية التلقي، والكفاءة والقدرة هي نفسها أفق التوقعات وغيرها من المفاهيم[9].

لكن وقع مصطلح نقد استجابة القارئ في إشكالية كبيرة تمثلت في التداخل والخلط بينه وبين مصطلحات المدرسة الألمانية؛ فظهرت في الأوساط الأدبية الغربية عدة تسميات كالتلقي، التأثير، الاستقبال، الاستجابة والقراءة. ولكن ما يجدر أن نشير إليه، هو وجود فرق دقيق بين هذه المصطلحات، فكلمة التلقي reception تعود إلى الأصل اللاتيني reception التي تحمل معنى الاستقبال action de reservoir والقبول accepter. أما دلالتها الجمالية والنقدية، فقد ولجت ساحة النقد الغربي عام 1979 بالمؤتمر الذي عقد في أنسبريك الموسوم: ب"التواصل الأدبي والتلقي" بحضور روبرت ياوس. أمّا في المعجم الإنجليزي، فكلمة تلقي تدل أيضا على الاستقبال أو طريقة ردّ فعل كما أشار الأستاذ عصام طلعت الرفاعي حين مناقشته لمقال الدكتور فؤاد عناني[10].كما تهتمّ نظرية التلقي بالكيفية التي يتمّ بها تلقي النص الأدبي في لحظة تاريخية معينة، لذا نجدها ترتكز على شهادات المتلقين بشأن هذا النص، وعلى أحكامهم وردود أفعالهم المحددة تاريخيا.

في حين نجد نظرية التأثير تعتقد أنّ النص يبنى بكيفية مسبقة استجابات قرائه المفترضين، ويحدّد بكيفية قبلية سيرورات تلقيه الممكنة، ويراقب كل واحدة منها بفضل قدرات التأثير التي تحركها بنياته الداخلية، ومن هنا راحت تركز على النص في حدّ ذاته من حيث التأثيرات التي يمارسها.

فجمالية التلقّي بمفهومها العام والشامل، ترتكز على اتجاهين يجب التّمييز بينهما كما يشير الباحث عبد الكريم شرفي في كتابه "من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة": اتجاه التأثير يدرس فعل النص أو تأثيره، ويهتم بالتفاعل الجمالي المباشر الذي يعكس التأثير المبدئي الذي يحدثه النص في كل قارئ، أما اتجاه التلقي فيحاول أن يستوعب هذا التأثير ويبرزه من خلال ردود الأفعال التي تظهر لدى المتلقي، وهكذا يتبيّن أنّ جمالية التلقي بسبب ازدواجية مفهومها المحوري تركز جلّ اهتمامها على العلاقة الجدلية بين التأثير والتلقي، أو بين النص والمتلقي دون أن تختزل هذه العلاقة في أحد طرفيها على حساب الطرف الآخر.

إذن فجمالية التلقي، تنظر لهذه العلاقة باعتبارها علاقة تحاورية ومتبادلة بين التأثير الذي يمارس النصّ والتلقي الذي يمارسه التلقي، وبالتالي تظل مشروطة في الوقت نفسه ببنيات النص التأثيرية والتوجيهية، وبالاستعدادات الفردية الذهنية والنفسية لأي قارئ. فهناك تعالق وتداخل كبير قائم بين التلقي والتأثير، وهو ما أكده جلّ منظري مدرسة كوستانس، ولكن هذا التداخل والتعالق لم يكن ليصنع من إمكانية الفصل الإجرائي بينهما-كما أشار الباحث عبد الكريم شرفي- وتمييزهما عن بعضهما كطرفين مختلفين ومتفاعلين في الوقت نفسه. ومن هنا ظهرت نظرية التلقي ونظرية التأثير اللتان أسسهما على الترتيب ياوس و فولفغانغ ايزر، إذ يؤكد "ايزر" في كتابه "فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب" أنّها نظرية للتّجاوب، وليس نظرية للتلقي، ولكنه يقرّ أنّ هذا الاهتمام الخاص لا يُلغي بعد التلقي[11].

أمّا الدّكتور محمد المبارك في كتابه"استقبال النص عند العرب"،فتكلّم عن مصطلحي الاستقبال والاستجابة، وجعلهما لصيقين بنظرية التلقي؛ فمن الصعب فصل أحدهما عن الآخر، لأنّ مفهوم الاستقبال لم يكتسب دلالته الأدبية بعد، وكذلك مفهوم الاستجابة[12]، "فمن المعضلات القائمة التمييز بين الاستقبال والاستجابة أو التأثير، حيث أنّ كليهما يهدف إلى تعزيز العمل وليس واضحا إمكانية فصلهما تماما، وهناك بعض الاقتراحات التي ترى أنّ الاستقبال يرتبط بالقارئ، بينما الاستجابة لها علاقة بالأوجه النفسية، وهي علائق غير مقنعة تماما"[13].

ثمّ انتقل محمد المبارك إلى مصطلح القراءة، وأكّد بأنّه من المصطلحات التي يعتريها الغموض، وقد اقترنت بالتلقي، فلم يستطع نقّاد استجابة القارئ تحديد مفهوم مشترك لهما، ذلك أنّ القراءة عملية معقدة وشائكة، كما أنّ امتداد هذا المفهوم في الحقول المعرفية الأخرى جعل استجلاءه في غاية الصعوبة.

والمصطلحات الرئيسية المستخدمة في الدراسات الأدبية الحديثة هي أربع مصطلحات أساسية، وما سواها، فهو إمّا تابعا لها أو مرادفا، وهذه المصطلحات هي: التلقي، القراءة، الاستقبال، الاستجابة. ثم أوضح محمد المباركي أنّ المصطلحات الثلاث الأخيرة هي الشائعة في الدراسات الحديثة، والمصطلح الأساسي الذي يمكن أن يكون جامعا لها هو التلقي؛ ففي كل لفظ من هذه الألفاظ الثلاث ارتباط ضمني مع التلقي. ومن هنا يمكن القول: إنّ التلقي هو النظرية الأدبية التي تقيم العناصر الثلاثة في رباط قوي:[14]

الشكل 1: مخطط يوضح العلاقة بين مصطلحات نقد استجابة القارئ

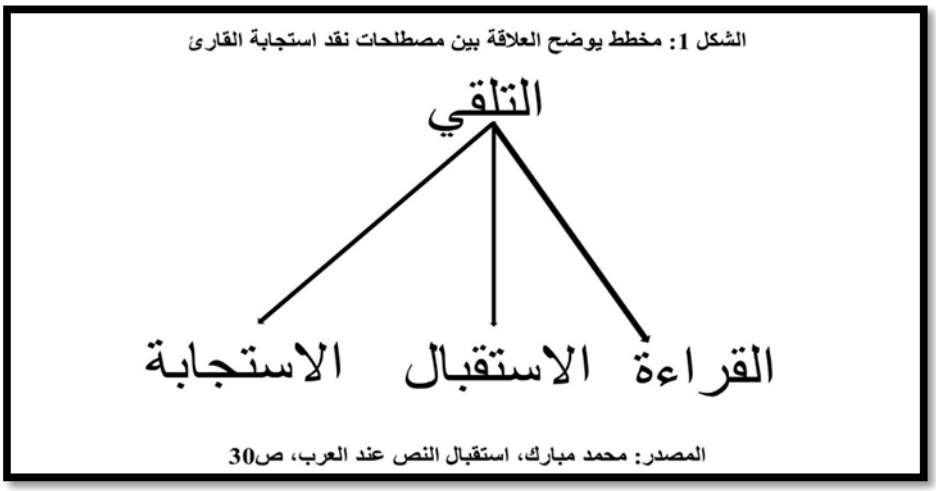


المصدر: محمد مبارك، استقبال النص عند العرب، ص30

أما نبيلة إبراهيم، فقد ألغت الاستقبال كليا، مؤكدة أنّ القراءة تتمّ لا من كون النص استقبل؛ وإنّما من حيث تأثيره في القارئ وتأثره به على حد سواء، ولهذا فإنّ أصحاب هذه النظرية لا يسمون نظريتهم نظرية الاستقبال؛ بل يسمونها نظرية التأثير، لأنّ نظرية الاستقبال مدرسة أخرى في ألمانيا، في حين كلّ من نظرية الاستقبال ونظرية التلقي يندرجان ضمن توجّه واحد هو جمالية التلقي، وضمن مدرسة واحدة هي مدرسة كونستانس. كما تؤكد الناقدة أنّ نظرية الاستقبال تحتفظ بثنائية القارئ والنص؛ أي أنّها تفصل بين الذات والموضوع عكس نظرية التأثير التي تلغي الثنائية[15].

أمّا جوانب الاختلاف، فتمثّلت في أنّ نقّاد استجابة القارئ كما أشرنا سابقا لا ينطوون تحت نظرية واحدة، ولا توحّدهم مدرسة موحدة ومترابطة، بل هم نقاد متفرقون اتفقوا في نقطة انطلاقهم القارئ، فاتجاههم غطّى رقعة جغرافية وفكرية واسعة، وحقق نوعا من الوضوح، ولكن موضع التقصير كان في غياب

التنسيق الذي يمكن أن يفسر لعبة الاختلاف الفكري بين الرواد. في حين تميزت نظرية التلقي عن نقد استجابة القارئ في كونها مجهودا مؤطّرا ومنتظما عبّرت دائما عن انسجامها وتلاحمها، وتزعمها -ياوس و ايزر- وأفرزا عدة قضايا كانت بمثابة الدعائم والركائز الأساسية لنظرية التلقي[16].

وباختصار، لابد من التّمييز بين اتجاهين، أولها اتجاه أمريكي في شكل ممارسات تنظيرية وفردية استخدم مصطلح نقد استجابة القارئ، واتجاه ثانٍ هو ألماني استخدم مصطلح التلقي. فجاء نقد استجابة القارئ منسوبا للنّقاد الأمريكيّين منهم نورمان هولاند، ستانلي فيش، جوناثان كولر،إيد هيرسش، واين بوث، جيرالد برنس، اروين وولف، ديفيد بلايش وميخائيل ريفاتير؛ حيث كان لهم الفضل في تشكّل هذا التوجه النقدي، وذلك من خلال أعمالهم المبكرة ونظرياتهم المختلفة وقضاياهم المطروحة التي تناولها الباحثون بالدّراسة، فشكلت بذلك النواة الأولى لنشأة نقد استجابة القارئ.

**3- نشأة نقد استجابة القارئ:**

بعد تتبّعنا لمسار مصطلح نقد استجابة القارئ والغموض الذي ميّزه تبعا لتفرع النظرية وتداخله، نحاول تتبع نشأة النظرية التي عبّرت عن جهود فردية، فجلّ الدّارسين وعلى رأسهم جين. ب.تومبكنز يرون أنّ بدايات نقد استجابة القارئ كانت مع ريشاردز Richards عند مناقشته للاستجابة العاطفية في عقد العشرينات من هذا القرن[17]؛ ففي كتابه "النقد التطبيقي" 1929م قدّم ما يمكن أن يكون قريبا مما نستطيع تسميته: النقد القائم على استجابة القارئ، فقد اعتمد على تجربة عملية بين مجموعة من طلابه وقام بتوزيع عدد من القضايا عليهم، ونزع من أسماء المؤلفين طالبا منهم التّعبير عن استجاباتهم الحرّة لتلك القصائد، فكانت النتيجة عددا من الاستجابات المتباينة واعتبر كثيرا من هذه القراءات خاطئة، ممّا يعني وجود قراءة صحيحة، وأقرّ في الأخير أنّ قراءة القارئ للنص لابد أن تحدّدها استراتيجيات قراءاته السّابقة، فكانت هذه التجربة عند العديد من النقاد والدارسين البوادر الأولى لظهور نقد استجابة القارئ.

ويرى المهتمون بتاريخ نقد استجابة القارئ أن ريشاردز أظهره بداية في موسوعة كامبريدج، وحاول قياس نجاح قراءة الشّعر، جامعا في تجاربه بين الأدب وعلم النفس. ولعل محاولته تلك هي الخطوة الأولى نحو انتشار نظرية الاستجابة[18]. ثمّ بعد انقضاء ثلاثة عشر عاما من صدور كتابه "النقد التطبيقي"،قدّم كتابه الكامل عن القراءة"كيف نقرأ صفحة"، وفيه مناقشات لأفكار تتعلق بعملية القراءة ووظيفة القارئ، وهو كتاب لا يكاد يذكره أحد حتى الباحثين الغربيين.

وإلى جانب ريشاردز، نجد الباحثة لويزا م. روز نبلات L.M.Rosenblat[(*)] التي نشرت كتابا بعنوان "الأدب بوصفه استكشافا"؛ حيث شرعت من خلاله في تطوير نظرية القراءة، وكان لها مقالا بعنوان: "نحو نظرية في القراءة تقوم على أساس التفاعل" 1969.

وبعد صدور هذين الكتابين ظهرت العديد من الدراسات التي يمكن اعتبارها مكمّلة لنشأة نقد استجابة القارئ، بحكم أنّ من تزعمها هم رواد النظرية، وأولهم: ستانلي فيش Stanly fish في كتابه "هل هناك نص في هذا الفصل؟" سلطة الجماعات التفسيرية 1980؛ حيث اهتم بالقراءة وأعطى القارئ دورا أكثر إيجابية بوصفه منتجا للنص.

بعدها جاء نورمان هولاند Norman Hollandوكتب "مدخل استجابة القارئ" في موسوعة برنستون، وصرّح أنّ نقاد استجابة القارئ يتكئون بقوة على علم النفس، وقال بأنّ عمل إيزر يتوافق إلى حدّ كبير مع نقد استجابة القارئ الأمريكي. ولعلّ أهم ملمح لتطور النظرية هو وجود أكثر من نسخة لها في القارة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ويلاحظ هولاند أنّ نقاد النظرية طوّروا داخل الإطار العام للنظرية أشكالا مختلفة لها[19]. وصدر له كتاب"قراءة خمسة قراء" 1975، واعتمد على مفاهيم علم النفس التحليلي الفرويدي، وقد حلّل فيه عادات القراءة واستجابة القرّاء، ثمّ أوضح هولاند التّطور الذي لحق بالنّظرية من خلال النقاد الأمريكان، فطرح السؤال الأساسي: كيف يصنع القرّاء معنى من القصيدة؟ وهذا السؤال هو الأبلغ في نظره بدلا من: ماذا تعني القصيدة؟ وبهذا فتح هولاند بابا لتعدد الآراء ولنشوء دراسات في القراءة فأصدر ديفيد بلايش BleachDavidكتابه "النقد الذاتي" سنة 1978.

ومن الرّواد أيضا نجد ريفاتير riffaterreفي كتابه "سيميوطيقا الشعر" 1978؛ حيث يقترح قراءة سيمائية لدراسة النص الأدبي، متجاوزا قراءة البنيويين للنصوص الأدبية، ومركزا على الوظيفة الأسلوبية، وجوناثن كولر Jonathan Culler له كتاب مهم أيضا سمّاه: "مطاردة العلامات " 1981، خصّ فيه أعراف القراءة، وحاول إقامة نظرية بنيوية للتفسير من خلال استراتيجيات القرّاء[20].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، اعتبر بعض الباحثين أنّ الدراسات التي جاءت بعد أعمال الروّاد الأمريكان لها وزن في التعريف بالنظرية، وصنفت ضمن اللبنات الأساسية في نشأة نقد استجابة القارئ، وأول دراسة هي دراسة إليزابيث فرونيد E. Freund وكتابها المهم "عودة القارئ نقد استجابة القارئ" 1987؛ حيث ركزّت فيه على كولر وفيش وهولاند، وهي تنتهي في عملها إلى ربط نظرية استجابة القارئ بالمسائل الفلسفية، وأشارت إلى تأثير إيرز على النسخة الأمريكية للنظرية، واعتبرت عمله شكلا متكاملا، في حين النسخة الأمريكية تتّسم ببنية ذاتية التّنقيح.

ومن النقاد، نجد جين.ب. تومبكنز في كتابها الذي اعتمدنا عليه كثيرا "نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنوية"، فقد عالجت قضايا أساسية وتطرقت إلى رواد النظرية وقضاياهم وكذلك القراء، حيث أوردت مقدمة مفصّلة في بداية الكتاب لخصت فيها معظم الاتجاهات والمسائل المرتبطة بنقد استجابة القارئ.

كما نذكر أيضا فينست ليتش وكتابه "النقد الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات" 1988، الذي خصّه بفصل عن نقد استجابة القارئ، وفقرة بعنوان "نظرية التلقي الألمانية في أمريكا". وقد أشار أنّ هناك مدرسة لنظرية التلقي تطورت خلال الستينات والسبعينات في ألمانيا بعيدا عن حركة استجابة القارئ الأمريكية.وهو يرى كذلك مثل سابقيه أنّ -ايرز- كان أكثر تمثيلا لنظرية التلقي بالنسبة للمثقفين الأمريكيين[21].

وعلى صعيد آخر، وبالإضافة لما سبق، وجهت انتقادات لنظرية نقد استجابة القارئ، ومنها أنّها قامت بمراجعة الشّكلانية فقط دون إضافة، مما جعل أصحابها يقرّون أنّها فقدت ملامحها النظرية تحت ضغط الانتقادات[22].ولكن رغم ضعف أعمال رواد نقد استجابة القارئ،إلا أنها اعتبرت من بوادر نشأتها، وظلّ رواده مستمرين في التأثير العملي، مما أكد نشاط المؤسّسة الأدبية"؛ فأيّ عمل أدبي دون استجابة القارئ ودون

مشاركته، يظل بعيدا عن الأدبية وأقرب للتأريخ، وفي ظلّ استجابة القارئ وتلقيه، يدخل العمل الفني محطّته الحقيقية، ويطبع القارئ بتجربته الاستمرار لحياة النص.

ويظلّ لهؤلاء النقاد الفضل في إثارة مجموعة من الأسئلة التي لها نتائج مهمّة في حقل النقد الأدبي كما يشير حسن البنّا عزّ الدين؛ فهذا النقد المعنى "بنقد استجابة القارئ" فتح الحدود الفاصلة بين الدراسة الأدبية والنظم المعرفية الأخرى، ثم إنّ الإضاءة التي تمت في هذا المجال لممارسة القارئ عملية التفسير أوضحت إلى أيّ مدى يعتمد معنى النص على دور القارئ وآرائه.

وعلى نحو آخر،استوعب كثير من أنصار نقد استجابة القارئ عملهم في التطبيق العملي في فصول الدراسة، كما ساعدت هذه النظرية في إحداث تأثير ملموس مع التطبيق التعليمي والنقدي من خلال المنظرين المؤيدين الذين تأثروا برواد النظرية، وحاولوا إدخال النقد في خطابات ثقافية أوسع[23].

**ثانيا: الخلفية المعرفية لنقد استجابة القارئ:**

**1- التّحليل النّفسي وعلاقته بالعمل الأدبي:**

بدأ علم النّفس التّحليلي في أواخر القرن 19 كحلقة جديدة تضاف إلى سلسلة العلوم الإنسانية التي تبحث في الذّاتية الشّخصية للفرد، ويكون ذلك وفق رؤية خاصّة ومميّزة في تشخيص أفعال ونتاجات الإنسان نظريا وعمليا في مختلف المجالات، ومنها ما يخصّ الأدب؛ فالأدب بشكل عام هو انعكاس نفسي وفكري للأفراد الذين يتناولون واقعهم الحياتي والاجتماعي بالكتابة والتعبير عنه، فمجمل الأدباء والنقاد ما هم إلا عيّنات نموذجية في تشخيص العلاقات الإنسانية حسب المرحلة التي يعيشونها وما يرتبط في سلوكية العمل والحاجة المطلوبة في الكتابة التي يجنحون إليها.

ويعدّ الطبيب النمساوي سيغموند فرويد (1856- 1919 ) مؤسس طريقة التّحليل النّفسي القائمة على الكبت الواقعي للإنسان تجاه مبدأ اللّذة، وتناقضات الإنسان ما هي إلا نتيجة الكبت الهائل للعناصر التي شكلت تكوين سلوك الإنسان ونفسيته[24].

وإذا ما عدنا لأهمية علم النفس أو التحليل النفسي بالنسبة للأدب، فيمكن اعتباره كما أشار سعد البازعي في كتابه"دليل الناقد الأدبي" أنّه مظلة واسعة تندرج تحتها عدّة مسارات، وقد برز التّحليل النّفسي في النقد والأدب مع "فرويد" الذي يرى أن العمل الأدبي موقع أثري له طبقات متراكمة من الدلالة، وبالتالي لابدّ من كشف غوامضه وأسراره[25].

ولعلّ السّمة المضيئة في التّحليل النّفسي أنّه يتعامل مع النظريات النقدية، ويهتم بتمثيل الذات والآخر والعلاقات التي تحكم فعاليات السلوك والخطاب، وهو لا يتجاوز قضية تتبع كافة خيوط العمل الأدبي وسيرتها الذاتية.

ولئن ركزّ التحليل النفسي في النقد والأدب على المؤلف، فإن التّصورات الحديثة أشارت إلى أهمية القارئ والناقد وتأثيره بما يقوم بتحليله، فعملية التّحليل النفسي منها والأدبي ليست عملية محايدة، وإنّما هناك تفاعلا نشطا ومتبادلا بين المؤلف والنص والقارئ، حتى أصبحت نصوص التّحليل النّفسي نفسها موضوعا للنقد الأدبي، وصار يعتمد على النصوص يفحصها وتجمعه بالأدب إبداع الصور والتّغيرات والمنطق.

ومع ظهور القارئ وانحسار دور المؤلف، أصبح التّحليل النفسي يركز على ما يقدمه الأدب للقارئ من متعة وحتى الشّكل الأدبي والنوع الفنّي، وأصبح يحمل دلالات نفسية لكل من القارئ والمؤلف، ومع استجابة القارئ أصبح العمل الأدبي تجربة يعيد القارئ بناءها ومعايشتها[26].

ولما كانت العلاقة بين القارئ والنص علاقة نشطة ومتبادلة، فإن كل قارئ سيجلب إلى النص تجربته الشخصية، ونموه العاطفي، ورؤيته الخاصة، لذلك أصبح من الضروري تحليل وتفسير هذه القراءة ذاتها، لأنّها بدورها أصبحت نصا له.

ولقد لاحظنا حين البحث عن أهمّ القضايا لنقد استجابة القارئ التي تناولها الرّواد الأمريكان، أنّ جلّها اتّخذ من علم النّفس منطلقا لها، وقد بيّن هذا العديد من الدّارسين، ومنهم عماد الدين الجبوري في مقالة "ذاتية الفرد، صلة علم النفس"؛ إذ أكّد أن نظرية التحليل النفسي تأثر بها بعض دعاة الحداثة من النقاد الأمريكيين، فصدر في عام 1975 كتابين لكل من هاروم بلوم "خارطة لسوء القراءة" ونورمان هولا ند"خمسة قراء يقرأون"، وقدّم بلوم في كتابه "رؤية خاصة للأدب" من خلال عقدة أوديب؛ حيث عمل على إعادة كتابة التاريخ الأدبي إنطاقا من هذا المنظور، وحسب رأيه فإنّ مجموع القصائد المكتوبة عند الشعراء يمكن قراءتها على أنها إعادة كتابة لقصائد أخرى ليس إلاّ؛ فكل شاعر يتأثر بنمط الأعراف والتقاليد السائدة في عصره.

وهولاند سار على حذو فرويد لتعقيب مبادئه، فالأعمال الأدبية حسب تصوره هي التي تحرك في القارئ التفاعل في الخيال اللاّواعي، وبذلك تجعل العمل الأدبي مرغوبا وممتعا، وعلى هذا الأساس، فإنّ أيّ عمل أدبي إن لم يكن هادفا لقبول هذه الرغبات تبعا لأسلوبه ولغته التي تجعلنا في سيطرة عليها، فسوف لن يكون عملا مقبولا أبدا. ثمّ إنّ هولاند في كتابه المذكور سابقا بحث عن ردود أفعال العقل اللاواعي لمجموعة من قرّاء الكتب الأدبية، والمعنى التحليلي النفسي لديه هو الأساس الجوهري الذي يجب على القارئ أن يدركه.

فنظرية نقد استجابة القارئ تأثرت بالتحليل النفسي، وقد صرّح حسن البنّا عز الدين في كتابه " قراءة الأنا قراءة الآخر"بأنّ نورمان هولاند نفسه يعترف "جلّ نقاد استجابة القارئ يتكئون على علم النفس بشكل كبير"[27]. ويضيف بأنّه استخدم معطيات علم النفس، ورأى أنّ عاملا آخر يرتكز على طريقة عمل كل قارئ في إبداع النص أو إعادة إبداعه، ومن ثمّ يعطي القارئ دورا أكثر فعالية وإيجابية في التعامل مع النص، فالبشر جميعهم في نظرية هولاند يرثون قيمة هوية أو مفهوما ثابتا عن طبيعة شخصياتهم، وكل ما يقرؤونه له تأثر بهذه الهوية، ويتحول في نفوسهم حتى يناسبها ويتعايش معها، فإذا استجاب القارئ للعمل الأدبي بصورة إيجابية، فقد استطاع أن يجمع عناصر العمل معا في نسق يناسب هويته وأسلوب حياته[28].وقد تعامل هولاند مع النصوص الأدبية من منظور التحليل النفسي، فجعل القراءة وتفاعل القارئ مع النص عملية نقدية؛ إذ يكتشف القارئ في الأدب موضوعة الهوية الخاصة به ويتعرّف على رغباته ودوافعه، وهكذا تتنقل الرغبة من النص إلى وعي القارئ، وبهذا يكون النص قد خدم المؤلف في التعبير عن رغباته ودوافعه، وخدم القارئ الذي يوائم ويكيف النص حتى يحقق متعته الخاصّة[29].

**خاتمة:**

وفي ختام هذه الورقة البحثية، نخلص إلى أنّ نقد استجابة القارئ ليس مفهوما في جزئياته ومكوناته الناتجة عمّا بعد الحداثة، إنّما هو خلاصة تلك الرؤى التي تعيد منظور القارئ في العمل الأدبي عبر التلقي

والقراءة والاستجابة، ولكن يجدر بحقّ استحقاق هذه الجهود أو التيار النقدي المعاملة على أسس النظرية الكفيلة بربط القارئ بالتحليل النفسي ليتكامل تأسيس النقد من الذوق والانطباع مع المعيارية والحدود. ويمكن تفصيل ما خلصت إليه الدراسة فيما يلي:

- تركز نظرية التلقي في تشكلاتها الأمريكية على القارئ، وعلى استجابته خلال فعل القراءة.

- تعدّ نظرية التلقي فرعاً من الدّراسات الأدبية الحديثة المهتمة بالطرق التي يتمّ بها استقبال الأعمال الأدبية من طرف القرّاء بدلاً من التّركيز التقليدي على عملية إنتاج النصوص أو دراستها في حدّ ذاتها.

- إنّ نقد استجابة القارئ أو المدرسة الأمريكية ليست مدرسة موحّدة كما يوحي اسمها، وقد أقرّ بذلك العديد من الدّارسين؛ فهي عبارة عن أعلام مشتتين اتفقوا في بعض القضايا واختلفوا في أخرى، ورغم الاختلاف الموجود بينهم، إلا أنّهم اتفقوا في نقطة أساسية ومهمّة هي القارئ، فعملوا على إعادة الاعتبار له بعدما كان مهمَلا ردحاً من الزمن في الدّراسات النقديّة.

## هوامش وإحالات المقال

1- جين .ب. تومبكنز، نقد استجابة القارئ من الشّكلانية إلى ما بعد البنوية، تر: ناظم علي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، دط، 1999، ص17.

2- عصام طلعت الرّفاعي، قراءة في مقالة مصطلح التلقي بين الأصل والظلّ للأديب المغربي فؤاد عنّاني، (مقال على الأنترنت)، جريدة أحوال مصر، مصر، 26 فبراير 2014،رابط المقال: https://www.a7walmasr.com/show-17240.html، تاريخ الزيارة: 10 نوفمبر 2022.

3- حسن البناعز الدين، قراءة الأخر/قراءة الأنا - نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر-، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2008، ص32.

4- أحمد بوحسن، نظرية الأدب،القراءة، الفهم، التأويل، نصوص مترجمة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2004.ص69.

5- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص283.

6- أحمد بوحسن، نظرية الأدب، القراءة،الفهم،التأويل، ص.74

9- حسن البنا عز الدين، قراءة الآخر/ قراءة الأنا، ص25.

8- سعد البازعيوميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، ص287.

9- فروند إليزابيث، القارئ المشاء وجمالية التلقي، تر: أحمد الكبداني، مجلة نوافذ، جدة المملكة العربية السعودية، ع41، 2012.

10- عصام طلعت الرّفاعي، قراءة في مقالة مصطلح التلقي بين الأصل والظلّ للأديب المغربي فؤاد عنّاني، (مقال على الأنترنت)، جريدة أحوال مصر، مصر، 26 فبراير 2014،رابط المقال: https://www.a7walmasr.com/show-17240.html، تاريخ الزّيارة: 10 نوفمبر 2022.

11- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التّأويل إلى نظريات القراءة- دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 144.

12- محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص 28.

13- روبرت سي هول: نظرية الاستقبال مقدمة نقدية، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1992، ص7.

14- محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،مصر، ط1، 1999، ص30.

15- عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، - دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة،ص147.

16- عصام طلعت الرّفاعي: قراءة في مقالة مصطلح التلقي بين الأصل والظلّ للأديب المغربي فؤاد عنّاني، (مقال على الأنترنت)، تاريخ الزيارة: 10 نوفمبر 2022.

17- جين .ب. تومبكنز، نقد استجابة القارئ من الشّكلانية إلى ما بعد البنوية، تر: ناظم علي حاكم، ص 19.

18- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة، دط، 1999،ص 71.

* لويزا م روزنبلات: باحثة غربية أمريكية لها تأثير قوي، اقترحت للمرة الأولى مصطلح التفاعل لتحدد العلاقة بين النص والقارئ وكان عملها مؤثرا لكنه لم يدرك إلا حديثا وأعيد طبع كتابها سنة 1976.

19- حسن البنا عز الدين: قراءة الأخر/ قراءة الأنا، ص 34.

20- المرجع نفسه، ص38.

21- المرجع نفسه، ص56.

22- المرجع نفسه، ص.60

23- المرجع نفسه، ص.61

24- حسن البنا عز الدين: قراءة الأنا وقراءة الآخر، ص29. ميجان الرويليوسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص334.

25- ميجان الرويليوسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص334.

26- المرجع نفسه، ص336.

27- حسن البنا عز الدين، قراءة الأنا وقراءة الآخر، ص29.

28- عبد الحميد شيخة، القارئ والنصعلامات في النقد، مجلد 2، ج45، 2002،ص98.

29- سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص335.

## المراجع:


**الكتب العربية:**

1. أحمد بوحسن، نظرية الأدب،القراءة، الفهم، التأويل، نصوص مترجمة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2004.
2. حسن البناعز الدين، قراءة الأخر/قراءة الأنا - نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر-، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2008.
3. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التّأويل إلى نظريات القراءة- دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
4. عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة، دط، 1999.
5. محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.
6. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

**الكتب المترجمة:**

1. روبرت سي هول: نظرية الاستقبال مقدمة نقدية، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1992.
2. جين .ب. تومبكنز، نقد استجابة القارئ من الشّكلانية إلى ما بعد البنوية، تر: ناظم علي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، دط، 1999.

**المقالات:**

1. عبد الحميد شيحة، دور القارئ في تشكيل النظرية الأدبية رؤية تاريخية نقدية لنظرية التلقي، مجلة علامات في النقد الأدبي، نادي الثقافي الأدبي، جدة السعودية، مجلد 2، ج45، 2002.
2. فروند إليزابيث، القارئ المشاء وجمالية التلقي، تر: أحمد الكبداني، مجلة نوافذ، جدة المملكة العربية السعودية، ع41، 2012.
3. عصام طلعت الرّفاعي، قراءة في مقالة مصطلح التلقي بين الأصل والظلّ للأديب المغربي فؤاد عنّاني، (مقال على الأنترنت)، جريدة أحوال مصر، مصر، 26 فبراير 2014،رابط المقال: https://www.a7walmasr.com/show-17240.html، تاريخ الزّيارة: 10 نوفمبر 2022.
4. عصام طلعت الرّفاعي: قراءة في مقالة مصطلح التلقي بين الأصل والظلّ للأديب المغربي فؤاد عنّاني، (مقال على الأنترنت)، تاريخ الزيارة: 10 نوفمبر 2022.